

الكتاب الثالث

افلاس الحماية

- ١٦ (المقاومة الوطنية (المسلحة والسياسية)
- ١٧ (الازمة المغربية
- ١٨ (وجهة الاستعمار في الظروف الراهنة .
- ١٩ (المصالح الوطنية

المقاومة الوطنية

أ (المقاومة المسلحة

ب (المقاومة السياسية

كان الشعب المغربي فى عراك منذ القرن التاسع عشر مع الاستعمار الاوربى وضد حركة التوسع الفرنسى والاسبانى وقد تم تطويق المغرب باستيلاء فرنسا على الجزائر وشنقيط واستقرار الاسبان بسواحل الريف فلم ير المغرب بدا من خوض غمار المعركة لضمان وجوده وكان هذا الكفاح سلميا فى بادىء الامر عن طريق الدبلوماسية فقدر للمغرب الانتصار فى هذا الميدان ، غير أن الحصار السرى الذى ضرب على المغرب من طرف جاريه الاقربين فرنسا واسبانيا لم يسمح للدولة الشريفة بأن تجدد نظامها العسكرى الى حد أنه عندما صوبت فرنسا نيران مدافعها على الدار البيضاء ووجدة اضطر المغرب المهاجم أن يدافع عن نفسه بسلاح غير متكافى مع أسلحة الخصم .

وقد اغتتم الفرنسيون عامل المفاجأة فوطدوا أقدامهم بالدار البيضاء ثم احتلوا تدريجيا السهول المغربية الممتدة جنوبى المدينة وشرقها ثم احتلوا فاس عاصمة المغرب عام ١٩١١ ، وفى ٣٠ مارس سنة ١٩١٢ أجبر السلطان مولاي عبد الحفيظ على امضاء معاهدة الحماية .

المقاومة المسلحة

فماذا عسى أن يكون موقف الشعب المغربى ؟

أ يخضع أم يحمل السلاح ؟

أ يقبل بدون مقاومة ولا صمود الانحطاط من حالة الاستقلال الى حالة

العبودية ؟

ان الجواب عن هذه الاسئلة يسهل على من عرف طبيعة المغاربة وعاش بين

ظهرانى تلك القبائل المغربية الابية الشديدة التى تغار الى النهاية على استقلالها .

وان استقاء بعض الشواهد من كتاب « البربر المغاربة واخضاع الاطلس

الاووسط » الذى نشره المقيم العام الحالى الجنرال كيوم - لاكبر دليل على ذلك .

فقد أكد الجنرال كيوم قائلا : « ان الاحساس السائد عند البرابرة والذي تتمحى أمامه جميع الاحساسات الاخرى هو هيامهم الفطرى بالاستقلال وان كراهيتهم الغريزية لكل سيطرة لتفسر لنا ما أبدوه من مقاومة يائسة لكل توغل أجنبي ورغم شدة تعلق البربرى بمتاعه فهو لا يتردد مع ذلك فى التضحية به كله فى هذا الكفاح فكل واحد يدافع عن بلده الى النهاية بشدة تدعو الى الدهشة ولكن تثير الاعجاب فان البربرى يساهم فى النضال بمجرد ما يبلغ سن حمل السلاح واحتقاره للموت يزيد فى أنفته فهو دائما مستعد للدفاع عن تراب قبيلته والهبوب للغارة تلبية لنداء اخوانه ! انه محارب لا نظير له لانه أحسن محارب فى أفريقيا الشمالية بدون نزاع » .

وهكذا فان روح الاستقلال التى تذكى المغاربة قد دفعتهم - كما يعترف بذلك الجنرال كيوم نفسه - الى محاربة المغير الفرنسى بكل قواهم وهل كان يقع غير هذا وقد عاش المغرب مستقلا منذ ثلاثة عشر قرنا صادا بحد السلاح جميع محاولات التدخل الاجنبى .

والاتراك أنفسهم الذين كانت سلطتهم تمتد الى العالم الاسلامى أجمع أرغموا على الوقوف فى تلمسان بشرق الحدود المغربية . وهكذا كان عزم الشعب المغربى وطيدا فان فرنسا لن تستقر فى المغرب بسهولة ، بل سيحارب المغاربة هذا المغير ، وسيرفضون الوعود المعسولة التى يعرضها عليهم وقد اعترف الجنرال كيوم قائلا : « ليست هناك أية قبيلة جاءت الينا خائفة من تلقاء نفسها ولا استسلمت لنا بدون كفاح وهنالك كثير من القبائل لم تستسلم حتى استنفدت جميع وسائل المقاومة .. ! نعم لم تخضع أية قبيلة حتى هزمت بالسلاح وكل مرحلة من مراحل تقدمنا كانت تعترضها معارك وكنا كلما بلغنا حدا من الحدود اضطررنا الى اقامة معاقل ظلت فيها وحداتنا محروسة طيلة أعوام بحراسة خطيرة لا تبعت على الفخر » .

ثم أضاف قائلا : « ان المبادئ التى كانت عزيزة على المريشال ليوطى وهى (أظهر القوة تستغن عن استخدامها) و (ورب ورشة تغنى عن فيلق) لم تكن لتطبق كلها على سكان مصممين على الدفاع عن استقلالهم الى آخر حد » .

وهكذا نشبت حرب المغرب وكانت حربا طويلة مدمرة شاملة .. ! بدأت عام ١٩٠٧ بنزول الفرنسيين فى الدار البيضاء ولم تنته الا بعد ذلك بتسع

وعشرين سنة فى عام ١٩٣٦ •

كان الفرنسيون يحاربون بوسائل واسعة النطاق : قيادة اختصاصية ، وجنود محترفين مدربين على حرب استعمارية خاصة •

وكان المغاربة يقاومون مقاومة شديدة « جديرة باعجابنا » كما يقول الجنرال كيوم الذى يضيف « ان هذه المقاومة تستمد أصلها من ماض مستقل » • وقد استغرقت المقاومة المغربية مدة قبل أن تنتظم فقد اتخذت أولا شكل ثورة (ثورة الدار البيضاء والحوادث الدامية التى وقعت بفاس فى أبريل سنة ١٩١٢) ولكنها ما لبثت أن اندلعت فامتدت الى باقى أنحاء المغرب ، واليك أهم مراحل هذا الكفاح :

ففى سنة ١٩١٣ احتل الفرنسيون سهول مكناس وتادلة وخيفرة • وفى سنة ١٩١٤ اغتسم سكان الاطلس شيوب الحرب العظمى لانزال ضربة بالمغير فأحرزوا انتصارات باهرة كالتى حصلوا عليها فى معركة الهري (نوفمبر سنة ١٩١٤) •

وفى سنة ١٩١٧ تفكك التكتل البربرى فى الاطلس الاوسط من جراء ضربات جنود الاحتلال ولكن الكفاح استمر مع ذلك فى شكل حرب عصابات ويجب أن تنتظر سنة ١٩٢٠ لمشاهدة انتهاء مقاومة زيان العيفة دون أن يرضى أبدا القائد الماجد محمد وحمو الزياني بارضاخ رأسه الاشيب الابى استسلاما للخصم •

وحرب الريف حلقة أضيفت الى معركة الاطلس ، وفى المدة المتراوحة بين سنة ١٩٢٢ و سنة ١٩٢٦ قاوم ابن عبد الكريم التكتل الفرنسى الاسباني ، وقد اضطرت فرنسا واسبانيا من أجل اخضاع جيش الريف الى حشد قوات مسلحة هائلة تحت قيادة مريشالين كانا من أعظم قواد العصور هما بيتان وليوطى • وتجنيد عدد ساحق من القوات وأجهزة من أحدث طراز •

وقد نفى ابن عبد الكريم الى جزيرة لاريونيون رغم الوعود التى أعطيت له قبل الاستسلام بالاحتفاظ بحريته ، ثم لجأ الى القاهرة منذ عام ١٩٤٧ ، ولا يزال ابن عبد الكريم هو البطل الوطنى والمتزعم المساجد للاستقلال المغربى ، والرجل الذى يشيد به تاريخ العروبة وآدابها •

وقد دارت آخر مراحل المقاومة المغربية المسلحة من عام ١٩٣١ الى عام ١٩٣٦

فى الاطلس الاكبر الذى تضافرت ضده حملات خمسة جنرالات فرنسيين وقد صمد رجال المقاومة المغربية صمود اليأس •

وقد أشاد الجنرال كيوم بهؤلاء الرجال عند ما كتب بعد ذلك يقول : « ان خصمنا هو أحسن محارب فى أفريقيا الشمالية ، فهو شجاع الى حد المجازفة وهو يعرف كيف يضحي عن طيب خاطر بمتاعه وأهليه ، بل يضحي أسهل من ذلك بحياته للدفاع عن حريته » •

ان المغرب لم يساوم فيما أراقه من دماء فى سبيل الدفاع عن كيانه ، فقد أجاب المغير بحد السيف •

ب (المقاومة السياسية

وبينما كان المقاومون المسلحون المغاربة يواصلون كفاحهم فى استماتة واستبسال رغم عدم تعادل سلاحهم مع الخصم بدأ سكان النواحي المحتلة ينظمون أنفسهم لاستئناف الكفاح فى شكل أقل ظهور ، ولكن ليس أقل مفعولا ، هنالك نشأت حركة وطنية مغربية قامت ببعث العزائم وانهاض الهمم واستمد قاداتها ايمانهم واقدامهم من هذا التاريخ الحديث الحافل بالآلام والمجد ، فقد شاهد معظمهم كيف فقد المغرب استقلاله ، وان الذكريات التى يعيشها الناس لا عظم قوة توحدهم ، فقد قال ذلك رونان عند ما لاحظ بنحق : « ان للاحزان فى ميدان الذكريات الوطنية مفعولا أقوى من مفعول الانتصارات لانها تفرض واجبات ، وتوجه المجهود المشترك » •

وهكذا تتجلى الوطنية المغربية فى مظهرها الحقيقى لا كحركة عدائية للأجانب ، ولا كحملة ضد فرنسا ، ولكن كرد فعل عادل لشعب يكافح ليعيش عيشة الكرامة والعدل والحرية •

الظهير البربرى

والظهير البربرى هو الذى كان مبدأ المظهر الجديد الذى اتخذته الحركة الوطنية المغربية فقد أصدرت السلطات الفرنسية - خلال عهد الوصاية التى كانت فى السنوات الاولى لجلوس السلطان الحالى على العرش - مرسوما يحمل تاريخ ١٦ مايو سنة ١٩٣٠ ويرمى الى فصل سكان المغرب المدعويين خطأ برابرة

عن الشريعة الاسلامية التي تنطبق عليهم منذ عدة قرون •

وبهذا القرار الجديد وقع فصل ثلاثة أخماس سكان المغرب عن القوانين التي يصدرها السلطان المؤتمن على السيادة الوطنية فلم يكن اذن شك في أن هذا كان افتياتاً على امتيازات السلطان وتمزيقاً للوحدة المغربية الى كتلتين متعارضتين : العرب والبربر •

وكانت نية محرري الظهير البربري واضحة لا غبار عليها ، ويكفي أن نقرأ هذه الفقرة المقتبسة من محضر جلسات اللجنة الفرنسية المكلفة بدراسة المسألة : « ومن جهة أخرى فليس هناك أى ضرر في فصل وحدة النظام القضائي في المنطقة الفرنسية ما دام الغرض هو تعزيز جانب العنصر البربري للقيام بما قد يطلب منه من تحقيق التوازن في الكفة ، بل ان هناك بالعكس فائدة محققة من الوجهة السياسية نجنيها من وراء تكسير هذه المراءة » •

وقد اتخذت تدابير لنفس الغرض في الميدان الثقافي منذ عام ١٩٢٣ ، من ذلك تأسيس المدرسة البربرية التي حرم فيها تعليم العربية التي هي اللغة الوطنية وهكذا كانت الغاية المزدوجة وهي اخراج البربر من الاسلام وتجريدتهم من جنسيتهم المغربية •

وعند ما تحقق الشبان المغاربة بالخطر الذي يهدد الوحدة الوطنية وسيادة السلطان نظفوا صفوفهم وهبوا لكشف الستار عن مطامح الادارة الفرنسية أمام أنظار الرأي العام ، وعند ذلك اتسع نطاق الحركة وصارت تغلغل في أوساط الجماهير الشعبية •

وفد تلقت السلطات الفرنسية في كبريات المدن الامر بقمع الحركة فحكم على بعض الزعماء بالنفي أو الاعتقال بينما جلد آخرون بالسياط •
وفد تردد في الشرق اذ ذاك صدى الاحتجاجات المغربية وأعمال القمع التي عقيتها فكتبت الصحف العربية طوال عدة شهور تعليقات ضافية على هذه الحوادث وانهقدت مؤتمرات وتأسست جمعيات •

وبالجملة فان الثورة ضد محاولات تمزيق الوحدة المغربية اتسع نطاقها سواء داخل المغرب أو في باقي أجزاء العالم الاسلامي الى حد أن حكومة باريس اضطرت بعد حيرة دامت أربع سنوات الى تعديل بعض مقتضيات الظهير البربري •
وبدلاً من أن تستفيد السلطات الفرنسية من الحوادث المنصرمة فتملاً الهوة

التي تسببت في فتحها بما ارتكبه من أخطاء عملت بالعكس على توسيعها ،
فقد سارت تتوغل بخطى واسعة في طريق الحكم المباشر •
فكان من الطبيعي والحالة هذه أن تصيح الوطنية المغربية وتستغيث •

كتلة العمل الوطني :

هنالك تأسست كتلة العمل الوطني تحت قيادة نخبة تخلص لبلادها فالتزمت
القيام بواجب أولى وهي حملة من أجل تنوير الرأي العام الفرنسي حول الحالة
بالمغرب والاعراب في نفس الوقت عن حاجيات الشعب المغربي ومطامحه ،
فلهذا الغرض أحدثت بباريس باعانة شخصيات سياسية فرنسية مجلة « مغرب »
وهي مجلة شهرية تهتم بالشؤون المغربية •

ثم صدرت بفاس جريدة أسبوعية باللغة الفرنسية هي « عمل الشعب » بعد
آلاف العراقيل التي نصبتها لها السلطات الفرنسية •

والى جانب هذه الحملة الصحافية انكبت الكتلة على العمل فحررت برنامج
اصلاحات في « دفتر المطالب المغربية » قدمته في أول ديسمبر سنة ١٩٣٤ الى
الحكومة الفرنسية بباريس وجلالة السلطان والاقامة العامة بالرباط وذلك كي
لاتهم بالمعارضة حبا في المعارضة والتهريج العقيم •

ومن المفيد أن نرسم هنا الخطوط الكبرى لهذا البرنامج :

- تطبيق دقيق لمعاهدة ١٩١٢ والغاء كل حكم مباشر •
- الوحدة الادارية والقضائية في المغرب كله •
- مشاركة المغاربة في القبض على زمام السلطة في مختلف فروع الادارة
- فصل السلطات المركزة في يد الباشوات والقواد •
- احداث بلديات ومجالس محلية وغرف اقتصادية ومجلس وطني يتكون
من ممثلين مغاربة مسلمين واسرائيليين •

وقد تلقت كتلة العمل الوطني عبارات التأييد من جميع أنحاء المغرب ولم
يكن نشاط هذه الكتلة مقصورا على المطالبة بتنفيذ هذه الاصلاحات بل امتد
الى ميادين الاسعاف والتعليم ، من ذلك ما ظهر في معظم مدن المغرب من مدارس
قرآنية مجددة تنشر تعليما حديثا •

وأمام الصمت المطلق الذي لزمته الادارة الفرنسية من جهة وحالة البؤس

التي كانت تتخط فيها طبقات الشعب المغربي من جهة أخرى قررت كتلة العمل الوطني عقد سلسلة من المؤتمرات في مختلف مدن المغرب ، وذلك قصد لفت نظر الإدارة الفرنسية الى ضرورة التعجيل بتحقيق بعض الإصلاحات وقد انعقد المؤتمر الأول يوم ٢٥ أكتوبر سنة ١٩٣٦ واتخذ قرارا طالب فيه بتطبيق عدد من « المطالب المستعجلة » تمس الحريات الديمقراطية والتعليم والعدلية والفلاحة والقوانين الاجتماعية والضرائب والصحة العمومية .

وقد فتح أنصار الجبهة الشعبية بفرنسا في انتخابات مايو ١٩٣٦ باب الأمل في بزوغ عهد تفاهم وتعاون صريح فتوجهت الى باريس وفود لعرض وجهة نظر الكتلة على الحكومة الفرنسية الجديدة والمطالبة بتطبيق الإصلاحات الجوهريّة .

وفي غضون ذلك عين الجنرال نويس مقيما عاما بالمغرب (١٦ سبتمبر سنة ١٩٣٦ فلم يتمكن الوفد المقيم بباريس من الاتصال بالحكومة الفرنسية . وبعد مهرجان أقيم بالدار البيضاء يوم أول نوفمبر سنة ١٩٣٦ للمطالبة بحرية الصحافة قامت الإدارة الفرنسية باعتقال زعماء الحركة الوطنية فنظمت بكبريات مدن المغرب في وقت واحد مظاهرات طالب فيها المتظاهرون بإطلاق سراح المعتقلين السياسيين فأدى ذلك الى اعتقالات جديدة والى صدور عقوبات قاسية .

هنالك بلغت الازمة المغربية درجة من الخطورة اضطرت الجنرال نويس الى اتخاذ تدابير لتهدئة الناس فقرر اطلاق سراح المعتقلين ، وأذن بصدور أربع صحف باللغة العربية وصحيفتين باللغة الفرنسية (١٩٣٦) .

وقع اذ ذاك انشقاق داخل كتلة العمل الوطني حيث انفصل عنها أحد أعضائها وهو محمد الوزاني ليؤسس « حركة قومية » فواصلت الكتلة أعمالها وكشفت في جريدتي (الاطلس) العربية و (العمل الشعبي) - التي كانت تصدر بالفرنسية - أنواع الاستبداد المتولدة عن نظام الحماية وما فتئت تلجأ الى الإدارة الفرنسية من أجل تحقيق تعاون خالص في دائرة السيادة المغربية وكامل المسؤولية للبلاد تحت مراقبة وباعانة موظفين وفنيين فرنسيين .

ولم تقتصر كتلة العمل الوطني على الكفاح في الميدان السياسي فقد كان الواجب يقضى عليها أيضا بتثقيف جماهير الشعب وتوجيه المجتمع المغربي نحو

حياة عصرية فتم تنظيم دروس شعبية ومحاضرات في المعاهد والمساجد من أجل نشر المبادئ الوطنية وكان علال الفاسي هو الذي يتزعم بحماس التهذيب الشعبي .

وقد أحرزت الكتلة نجاحا أفض مضاجع الادارة الفرنسية التي قررت حل الكتلة الوطنية يوم ١٨ مارس سنة ١٩٣٧ .

وكان هذا القرار فاتحة سلسلة من التدابير التي أدت الى ثورات دامية ، وقد عبرت الادارة الفرنسية اذ ذاك عن عزمها على رفض كل اقتراح يرمى الى التقارب والتفاهم وذهبت أدراج الرياح تلك الجهود التي كان يبذلها بفرنسا كل من الحاج أحمد بلافريج والحاج عمر بن عبد الجليل .

الحزب الوطني :

وقد انعقد مؤتمر سري بالرباط في شهر أبريل سنة ١٩٣٧ فقرر تأسيس « الحزب الوطني لتحقيق المطالب » ويضم جميع أعضاء كتلة العمل الوطني . فازدادت الادارة الفرنسية ارتياحا ازاء ما أحرزه هذا الحزب من نجاح ونفوذ .

وقد تكاثرت الحوادث ففي أول سبتمبر سنة ١٩٣٧ قام سكان مكناس بمظاهرة في الشوارع ضد القرار الذي اتخذته الادارة لتحويل مياه بوفكران التي كانت تسقى المدينة نحو أراضي المستعمرين الفرنسيين وقد أطلق الجنود النار على المتظاهرين فمات أكثر من خمسة عشر شخصا وجرح نحو المائة ثم ألقي القبض على جماعات وفيرة من الناس .

فمنع صدور الصحف الوطنية « عمل الشعب » و « الاطلس » و « مغرب » ومنع كذلك انعقاد مؤتمر طلبة شمال أفريقيا الذي كان مقررا اجتماعه بالرباط يوم ١٥ سبتمبر .

واعتقل نحو الخمسين شخصا بمراكش بمناسبة مرور م . راماديبى الذي كان اذ ذاك خليفة كاتب الدولة في الاشغال العمومية بفرنسا لما تقدم اليه بعض المتظاهرين ليوضحوا له حالة البؤس التي كان عليها سكان الجنوب المغربي . ووقعت أعمال قمع أخرى خلال شهر أكتوبر سنة ١٩٣٧ .

فقد وقع قمع سكان الخميسات « البرابر » يوم ٢٢ أكتوبر قمعا شديدا

• لاحتجاجهم ضد السياسة البربرية •

وبعد ذلك ببضعة أيام أصدر الجنرال نوجيس أمره باعتقال زعماء الحزب الوطنى وهم علال الفاسى ومحمد اليزيدى وعمر بن عبد الجليل واحمد مكوار •
فأثارت هذه التدابير رد فعل واسع مقلق فى جميع المدن لا سيما منها القنيطرة وفاس والدار البيضاء والرباط وسلا ووجدة ومراكش حيث وقعت اصطدامات دامية أسفرت عن قتلى وجرحى •

• ففصت السجون ومعسكرات الاعتقال بأفواج الوطنيين •

وقد تضامنت حركة الوزارنى من جهتها مع الحزب الوطنى فجاء هذا الحادث بمثابة تفيد للذين كانوا يستغلون هذا « الشقاق » •

وفى ثالث نوفمبر نقل علال الفاسى الى الكابون حيث بقى منفيا تسعة أعوام •
أما الوزانى فقد أرغم على المقام الاجبارى بجنوب المغرب ولم يعد الى فاس الا عام ١٩٤٦ •

ومع ذلك فقد بعث الحزب الوطنى ليلة اعلان الحرب رغم كون عدد من أعضائه كانوا لا يزالون فى المنفى وفدا الى الاقامة العامة يوم ٢٦ أغسطس سنة ١٩٣٩ لتأكيد تضامن المغرب مع فرنسا وعرض مساعدته أمام الخطر الداهم •

وقد وفى الحزب الوطنى بكلمته طيلة الحرب فأصرحتى بعد النكبة الفرنسية عام ١٩٤٠ على عدم القيام بأى عمل من شأنه أن يحدث لفرنسا مشاكل •
حزب الاستقلال :

ولكن الاقامة العامة ظلت صارمة فى سياستها المتشعبة بابقاء ما كان على ما كان ولم ينجم عن نزول الحلفاء وتحريرهم أفريقيا الشمالية من النفوذ الالمانى ولا عن استقرار لجنة التحرير الفرنسية بالجزائر ولا عن عودة الجمهورية الفرنسية أى تعديل فى هذا الوضع البائد الذى أقل ما يقال فيه انه لم يكن أقل فداحة من النظام الفاشستى •

وقد ظل الشعب المغربى محروما من جميع حريات القول والاجتماع ينوء تحت عبء الضرائب ويجرد بصورة فاحشة لفائدة العنصر الاوربى من حقوقه فى جميع الميادين لا سيما فى ميدان التموين حيث كان محروما من بعض المواد •
ولم يكن بالمدارس الرسمية من التلاميذ سوى ثلاثين ألفا من بين مليونين

من الاطفال المغاربة بلغوا سن الدراسة ، هذا بينما العدد الكافى من المدارس يؤسس لايواء جميع التلاميذ الاوربيين •

وكان الفلاحون يخضعون لنظام استبدادى وللأعمال الشاقة وعملیات الحجز بينما كان العمال محرومون من الحق النقابى يتحملون شغلا شاقا فى مقابل أجرة لا تسمن ولا تغنى من جوع وكانت النخبة المغربية مقصاة عن ادارة شؤون بلادها •

فكان من المحتوم والحالة هذه أن يحس الشعب بخيبة أمل عميقة مصحوبة بئاس فقد كانت تجربة إثنين وثلاثين عاما داخل الحماية تجربة حاسمة فرأى الشعب المغربى من حقه التعبير عن ارادته فى قطع صلاته بنظام بعيد عن تحقيق تطوره بل نظام لا يتردد أمام أية وسيلة تعرقل هذا التطور •
فالتضحيات التى تحملها المغرب طوال مدة الحرب قد خولته حق المطالبة باستعادة سيادته •

وفى هذا الوقت الذى كانت مصالح الشعب العسوبة فى يد ادارة تتصرف حسب هواها قام حزب الاستقلال فضم :

١ - الحزب الوطنى السابق الذى كان ممثلا فيه المحترفون والعمال والتجار ومعظم النخبة المغربية •

٢ - رؤساء وأعضاء مكاتب جمعيات قدماء تلاميذ المدارس بفاس والرباط وسلا ومراكش وازرو ووجدة وآسفى ومكناس وكانت هذه الجمعيات تقوم بدور مهم فى توجيه الشبيبة المدرسية وكانت ممثلة رسميا أيضا فى « مجلس شورى الحكومة » •

٣ - شخصيات بارزة تنتمى للحركة القومية السابقة •

٤ - عدة شخصيات بارزة فى المجتمع المغربى كالمفتين وكبار الموظفين وأعضاء المحاكم وأساتذة القرويين وأساتذة معاهد التعليم الثانوى والابتدائى •

وقد قام حزب الاستقلال معززا بما كان له من نفوذ فى الشعب - بتقديم وثيقة يوم ١١ يناير سنة ١٩٤٤ الى جلالة السلطان وممثلى فرنسا ودول الحلفاء وقد احتوت هذه الوثيقة على ما يلى :

١ - الحماية نظام فرض بالقوة على الامة المغربية فى ظروف استثنائية كما تشهد بذلك المقاومة المسلحة التى قابل بها المغرب الاحتلال العسكرى والتى

استمرت من ١٩٠٧ الى ١٩٣٦ •

ب - وقع عمليا خرق هذه المعاهدة فى نصها وروحها من طرف نفس أولئك الذين التزموا باحترامها وبذلك لم يصبح للسيادة المغربية أى وجود •
ج - وقد طبقت الحماية بكيفية تضمن مصالح الجالية الاوربية وتؤخر وتعرقل تطور العنصر المغربى •

د - النص على مبدأ حقوق الشعوب فى حكم نفسها بنفسها فى مختلف تصريحات الدول الحليفة لا سيما منها ميثاق الاطلنطى وأخيرا مشاركة الجنود المغربية فى جميع واجهات القتال بالجهة الغربية - كل ذلك يخول المغرب الحق فى أن يضمن لنفسه مستقبلا أحسن •

ولهذه الاسباب كلها عبر حزب الاستقلال عن ارادة الامة مطالبا :

- ١ - باستقلال المغرب ووحدة أراضيه •
- ٢ - باقرار نظام ديموقراطى « شبيه بنظام الحكم فى دول الشرق الاسلامية يضمن حق جميع عناصر المجتمع المغربى وطبقاته » •
- ثم قررت بعد ذلك بعض المبادئ لتكون أساسا للنشاط الاجتماعى والسياسى والاقتصادى وهذه المبادئ هى :
- ١ - باستقلال المغرب ووحدة أراضيه •
- ٢ - الحريات بجميع مظاهرها •
- ٣ - اصلاح البلاد •
- ٤ - نظام ملكى دستورى •
- ٥ - التعاون الدولى •

وطيلة شهر يناير سنة ١٩٤٤ توالى الوفود من مختلف أنحاء المغرب على قصر جلالة السلطان حاملة عرائض التأييد مذيلة بمئات آلاف الامضاءات •
وما لبثت الادارة أن أجابت عن ذلك يوم ٢٩ يناير باعتقال الحاج أحمد بلافريج الامين العام لحزب الاستقلال بتهمة غريبة هى الاتصال بالعدو واعتقل كذلك محمد اليزيدى وقادة استقلالىون آخرون فكان لهذا النبا وقع عنيف فى الشعب الذى اندهش لهذه الاعتقالات وقامت اذ ذاك مظاهرات عنيفة بفاس والرباط وسلا فتلقى الجند الامر باطلاق النار على الجماهير •

وقد أسفرت تلك المظاهرات عن مئات القتلى وعدد كبير من الجرحى

واعتقل أزيد من خمسة آلاف شخص في مختلف نواحي المغرب (فاس وجدة - الرباط - سلا - ازرو) وكابد الوطنيون أقصى أنواع التعذيب والحرمان في معسكرات الاعتقال الفرنسية .

وقد حكم بالاعدام على عدة وطنيين ونفذ الاعدام صبيحة عيد المولد الشريف كما حكم على عدة أفراد بالاشغال الشاقة الدائمة أو المؤقتة وأقفلت المعاهد الثانوية الاسلامية وأجبر وزيران على تقديم استقالتهما ثم نفيا وأوقف عدد كبير من الموظفين .

وعاش المغرب في عهد ارهاب طوال سنتي ١٩٤٤ و ١٩٤٥ . وكان حزب الاستقلال يوالى نداءاته الى الحكومة الفرنسية والشعب الفرنسي لاقناعهما بحسن نيته وأنه لم يكن يريد اللقاء بالفرنسيين في عرض البحر وانما كان يريد البحث معهم عن الوسيلة العملية لتعويض نظام الحماية بمعاهدة تبرم بكامل الحرية وتضمن سيادة المغرب دون أى مساس بما للفرنسيين من مصالح مشروعة .

وفي عام ١٩٤٦ خيل للمغرب وقوع انفراج في علاقاته مع الادارة الفرنسية فقد قام السفير ايريك لابون الذى كان اذ ذاك مقيما عاما بالمغرب بعمل ودى ازاء حزب الاستقلال وذلك بتحرير الزعيم علال الفاسى والامين العام بلافريج كذلك والوزانى .

نعم كان هنالك عدة وطنيين لا يزالون في غياهب السجون ولكن الحوار بدأ على كل حال ولم تدم المذكرات طويلا لان السفير لابون أظهر صرامة فيما يخص شكليات الحماية ولانه وضع سياسة اقتصادية جديدة تهدف الى توطيد سيطرة رؤوس الاموال الفرنسية على خيرات البلاد المعدنية .

وفي يوم ٩ أبريل سنة ١٩٤٧ قام جلالة السلطان بزيارة رسمية لطنجة وشعرت الادارة الفرنسية بأن رحلة كهذه من شأنها أن تبرز وحدة المغرب بالرغم من الحدود الاصطناعية التي أحدثها الحاميان الفرنسى والاسبانى .

وفي صباح يوم ٧ أبريل سنة ١٩٤٧ طرأ حادث بسيط في أحد أحياء الدار البيضاء فوقع استغلاله للقيام بمجزرة من أجل عرقلة الرحلة الملكية ، ذلك أن جنودا سنغاليين مسلحين هجموا على المارة المغاربة فقتلوا وجرحوا وفتكوا . ويعتبر خطاب جلالة السلطان بطنجة حادثا بارزا في تاريخ الحماية السياسى

فقد حيى جلالة السلطان جامعة الدول العربية ونادى فى نفس الوقت بحقوق شعبه فى الحرية والسيادة •

هنالك ثارت ثائرة الصحافة الفرنسية فأنحت بالاقذاع فى حق المغرب بل فى شخص السلطان نفسه وطالبت بإرضاخه •

وبعد هذا الخطاب بشهر عين الجنرال جوان مكان ايريك لابون •
وسنرى ما قام به الجنرال جوان فى المغرب (من مايو سنة ١٩٤٧ الى سبتمبر سنة ١٩٥١) من أعمال فى الفصل المعلنون بـ « الازمة المغربية » •

الازمة المغربية

لقد كانت مهمة الجنرال جوان تنفيذ برنامج خطير هو :

١ - **صد المغاربة قصرا وشعبا عن فكرة الاستقلال** وصرف نظرهم عن الشرق والجامعة العربية وتوجيهه نحو الوحدة الفرنسية كما صرح بذلك في كثير من خطبه .

٢ - **الضغط على صاحب الجلالة** للحصول على عزل بعض كبار الموظفين وبعض القواد لادخال الرعب في قلوب سائر الموظفين المغاربة وحمل المواليين منهم للقصر على الخضوع لسلطة المراقبة الفرنسية .

٣ - **محاولة نزع السلطة التشريعية** من يد صاحب الجلالة وتأسيس مجلس وزراء مختلط تحت رئاسة السكرتير الفرنسي للحماية ومعنى ذلك تأسيس حكومة من وزراء صوريين لا سلطة لهم ولا نفوذ ومن مديرين فرنسيين بيدهم مقاليد كل شئ .

٤ - **احداث سلك خلفاء للباشوات** بمختلف المدن يعينون من قبل الادارة الفرنسية مباشرة قصد تقوية حكمها المباشر وخلق حرية الاجتماعات وتقوية نظام التجسس والارهاب .

٥ - **محاولة تحويل نظام انبلاديات القائم** ليصبح للجلالية الفرنسية بالمغرب حق الانتخاب وحق التقرير في المجالس البلدية .

٦ - **محاولة تحويل المجلس المدعو مجلس شوري الحكومة** من مجلس مقيم الى شبه مجلس نيابي يكون جميع أعضائه منتخبين نصفهم مغاربة ونصفهم فرنسيون . وهناك مشاريع أخرى من هذا النوع كادماج الاذاعة المغربية في الاذاعة الفرنسية وما الى ذلك .

٧ - المناشير

لما لاقى الجنرال جوان معارضة شديدة من لدن صاحب الجلالة في جل هذه المشاريع عمدت الادارة الفرنسية الى أساليب دنيئة ترمى الى النيل من كرامة السلطان وهدم نفوذه في النفوس بواسطة مناشير كلها قذف وبهتان ، وكانت

قضية مناشير المدير الفرنسي للداخلية فضيحة كبرى زادت في شقة الخلاف بين المغاربة والفرنسيين .

٨ - احياء الطرق الضالة

كما عمدت الادارة الفرنسية الى احياء الطرق (الصوفية) الضالة بعد اندثارها منذ زمان وتشجيعها للمشعوذين والدجالين والخرافيين الذين تقلص نفوذهم بانتشار روح الاصلاح الدينى والحركة الوطنية وقصد الادارة الفرنسية من ذلك عرقلة ما يدعو اليه صاحب الجلالة من تعليم المرأة المغربية وتطهير الدين من الخرافات .

٩ - ادعاء السيادة المزدوجة

صرح الجنرال جوان لدى أكاديمية العلوم الاستعمارية بباريس في خطاب له بأن الحكم في المغرب بيد اثنين الملك من جهة والمقيم العام ممثل فرنسا من جهة أخرى ، ومعنى ذلك أن السيادة بالمغرب في نظره ملك مشاع بين الملك وفرنسا في حين أن السيادة المغربية جزء لا يتجزأ منصوصة بعهود دولية منها عقد الجزيرة سنة ١٩٠٧ ، وعقد الحماية نفسه .

١٠ - تسهيل هجرة الفرنسيين: والاموال الفرنسية الى المغرب لتكثير عدد الجالية الفرنسية والزيادة في الاستحواذ على الاقتصاد المغربى .

معادئات صاحب الجلالة في باريس أكتوبر سنة ١٩٥٠

بينما العلاقات بين القصر والاقامة العامة تزداد يوما بعد يوم تعقدا وشدة اذا بحكومة الجمهورية الفرنسية تستدعى صاحب الجلالة لزيارة ودية للديار الفرنسية فلم يلب صاحب الجلالة الدعوة الا على شرط عرض القضية المغربية بصفة رسمية على أنظار الحكومة الفرنسية والتفاوض معها في ايجاد حل مرض لهذه القضية كما اشترط أن لا يغادر المغرب الا بعد تعيين أعضاء ديوانه .

وأثناء مقام صاحب الجلالة بباريس قدم مذكرتين لحكومة فرنسا يطالب فيهما بالغاء عقد الحماية فكان جواب الحكومة الفرنسية المراوغة واقتراح تشكيل لجان مختلطة بالرباط لدرس اصلاحات جزئية في نطاق الحماية . هذه الحماية التى أجمعت الامة المغربية ملكا وشعبا على بغضها فأبى صاحب الجلالة الا أن يصدر

بلاغاً قبل مغادرته فرنسا يصرح فيه بعدم حصول اتفاق بينه وبين الحكومة الفرنسية التي أثبت إلا أن ترضى الجالية الفرنسية بالمغرب التي ترعرعت في ظل الحماية على حساب الشعب المغربي . ولما عاد جلالته الى المغرب استقبل من لدن شعبه استقبالا حماسيا تأييدا له على مواقفه بفرنسا فهال الاستعمار أن يصبح المغرب شعبا وملكا يطالب بحقه في الاستقلال ، وهنا بدأ الجنرال جوان يحبك مؤامراته التي أدت الى الازمة القائمة بالمغرب .

مؤامرة الجنرال جوان

وكان هدف هذه المؤامرة الضرب على يد دعاة الاستقلال وفي مقدمتهم صاحب الجلالة ورجال حزب الاستقلال وكل حركة وطنية والقضاء على روح المعارضة لدى رجال القصر الملكي وممثلهم في مختلف النواحي حتى اذا ما تم للادارة الفرنسية القضاء على كل مقاومة أمكنها - وهي صاحبة اليد المطلقة - أن تشرع في تنفيذ برنامجها .

تحضير المؤامرة واتخذ الجنرال جوان لذلك وسائل منها :

١) تعبئة الصحافة والاذاعة والسينما بالمغرب وفرنسا فقامت هذه الابواق

بحملات عنيفة تزعم فيها التواطؤ بين صاحب الجلالة وحزب الاستقلال والشيوعية وتتهم صاحب الجلالة بتعرضه لكل اصلاح تقترحه الادارة الفرنسية لتطور البلاد كما تتهم حزب الاستقلال بنكران جميل فرنسا على المغرب وسبها وسب ممثلها واستعمال العنف والتفرقة بين عناصر الشعب .

في حين أن من الثابت أن صاحب الجلالة لا يعترض على ادخال اصلاحات على بلاده وانما يطالب بدرس المشاريع التي تعرضها عليه الادارة الفرنسية ، ويرفض كل ما فيه ضرر على مصالح البلاد العليا وسيادتها .

ومما يجدر بالذكر أن جميع هذه الاراجيف التي كانت تروجها الدعاية الفرنسية بالمغرب وفرنسا مصدرها من مصلحة الاخبار بالاقامة العامة ومكتب المقيم العام بباريس في حين أن الصحافة العربية بالمغرب تخضعها الرقابة الفرنسية خنقا وتمنعها حتى من حق الرد على تلك الاراجيف .

٢) تعبئة عناصر الرجعية بالبلاد من بعض أصحاب الطرق وبعض صنائع

الاستعمار وبعض الباشاوات والقواد الذين يريدون أن يحافظوا على مصالحهم و ثروتهم التي نموها على حساب الشعب باستغلالهم ما لهم من اختصاصات ادارية وقضائية وجبائية أثبت الادارة الفرنسية الا أن تركها بأيديهم لأنهم من صنائعها ولأنها تجد فيهم خير مساعدين لتنفيذ خططها • وأعظم مثال لذلك ما قام به الجلاوى «*» باشا مراکش أحد المسخرين في هذه المؤامرة

٣) نعيمة البوليس والجند والباسوسية لمحاصرة أبواب القصر وأبواب

المدن والاحياء الاهلية وذلك للحيلولة دون كل مظاهرة أو حركة احتجاج وتدمير وقطع كل صلة بين صاحب الجلالة وأفراد شعبه •

٤) ضرب نطاق الحصار على البلاد بأجمعها وعدم السماح لاي مغربي

بمغادرة البلاد وسحب رخص السفر للخارج لمن كانت بيدهم • وبعد ما أخذ الجنرال جوان جميع عدته للقيام بهذه المؤامرة كما ذكرنا شرع في تنفيذها فاتتهز حادثة الباشا الجلاوى لمحاربة صاحب الجلالة وحادثة مجلس الشورى لمحاربة حزب الاستقلال •

١) حادثة الباشا الجلاوى ان هذه الحادثة بسيطة في حد ذاتها لا تخرج

عن نطاق زجر رئيس لمروؤوسه ولكن مكتب الاستخبارات بالإقامة العامة نشر رواية لما ادعاه بالنزاع الواقع بين صاحب الجلالة والجلاوى فذكر أن الجلاوى ندد بحزب الاستقلال وأساليه وادعى تواطؤه مع الحزب الشيوعي وانحراف أعضائه عن تعاليم الاسلام والتقاليد المغربية وعاب على صاحب الجلالة موقفه منه

(*) سأل صحافي من مجلة « كاتزين » شارل داركون النائب بالمجلس الوطني عن شخصية الجلاوى فقال : كثيرا ما يلتبس الامر على الناس فبينما يرجع لمكانة الباشاوات والدور الذي يقومون به فالناس يحسبونهم من أولئك الاقطاعيين الذين يملكون سلطة موروثية في حين أن الادارة الفرنسية هي التي تعين أولئك الباشاوات كلهم بدون استثناء الجلاوى الذي هو أقدمهم والذي هو صنيعةنا منذ فجر الاحتلال ومنذ ذاك ونحن نغنيه ثم زدنا عائلته شهرة بتعييننا أبناءه قوادا ومنهلهنا عليه ارتكاب مظالمه والكل يعرف المصدر المزرى لثروته ولم تكن في هذا العمل متساهلين فحسب بل كنا مشاركين في الجرائم التي يرتكبها ولا زلنا كذلك فالاقطاعية في المغرب لم تكن شيئا واقعا ليس لفرنسا الاحق الاسف له بل هو واقعي من عمل فرنسا الرسمي الذي تعمل على ازدهاره وتسييره حسب أهوائها السياسية •

وراحت الصحافة الفرنسية تسج على هذا المتوال وتظهر باشا مراکش فى صورة المدافع عن الاسلام وتحليه بمزايا ليس نه منها شىء فصدر البلاغ الآتى من لدن الصدر الاعظم (رئيس الحكومة المغربية) :

بيان حقيقة من الصدارة العظمى

• أذاعت بعض الصحف رواية خاطئة عن الاسباب التى دعت صاحب الجلالة أيدى الله الى مؤاخذه باشا مراکش يوم حضوره بالقصر العامر بمناسبة عيد المولد النبوى الاخير •

ان الحادث الذى بالغت الصحافة فى عرضه ووصفه بخلاف بين صاحب الجلالة والباشا المذكور ليست له أية صبغة سياسية والواقع أن الامر لا يعدو عتبا موليا موجها الى أحد ولاته •

وغير صحيح أن المساعى التى قام بها باشا مراکش لدى صاحب الجلالة كانت ترمى حسب زعم تلك الصحافة الى اطلاع جنابه الشريف على ما يساور دوائر متمسكة بالمبادئ الدينية والتقاليد من قلق مزعوم ، تلك الدوائر التى لا صفة للبasha تخوله الكلام بالنيابة عنها والاعراب عن آرائها ، وانما كانت تهدف تلك المساعى الى حرمان سكان عمالته من حق رفع ظلاماتهم الى القصر العامر وذلك بعدم قبول وفودهم بالاعتاب الشريفة وبصرفهم عنها وترك أمرهم بوكلا اليه وقد أعرب البasha علاوة على هذا عن استياءه من الحملات الموجهة اليه من لدن الاحزاب السياسية وبعض الصحف الفرنسية •

فلقت صاحب الجلالة نصره الله نظره الى أنه لا يمكن بوجه من الوجوه أن تحرم طائفة من رعاياه مما جرت به العادة من السماح لهم برفع مظالمهم الى جنابه العالى بالله وان هناك محاكم جزرية لعقاب ما عسى أن ينال شخص البasha وغيره من ولاية المخزن الشريف من أنواع القذف •

ولما تمادى البasha على المطالبة بما طالب به من غير تبصر وأكد شكواه بعبارة لا تخلو من وقاحة أمره صاحب الجلالة بالانصراف وأبلغ اليه بواسطة وزيره الصدر الاعظم أن لا يعود الى القصر الملكى حتى يصدر له الامر بذلك • وبهذه المناسبة تعيد الصدارة العظمى الى الاذهان أن صاحب الجلالة لم يحد عن الحطة التى رسمها لنفسه بالسير بالبلاد نحو مصيرها المجيد غير متأثر بأى

تأثير حزب من الاحزاب وفي نطاق العدالة واحترام المبادئ الاسلامية والتقاليد الصحيحة المرعية التي اضطلع بحراستها والذود عنها ولا يغيبن عن أذهان الباشوات والقواد الذين ليسوا سوى ممثلى صاحب الجلالة ان الواجب يقضى عليهم بخدمة الصالح العام اقتداء بعاهل البلاد .

٢٥ ربيع الاول عام ١٣٧٠ موافق ٤ يناير سنة ١٩٥١ .

(٢) حادثة مجلس الشورى وخلال دورة عادية بمجلس المقيم المدعو بمجلس

شورى الحكومة أثبت بعض المقررين الذين ينتمون لحزب الاستقلال ما فى توزيع الميزانية المغربية من حيف لفائدة الجالية الاجنبية مرتكزين فى تقاريرهم على الارقام والمستندات التى استقوها من الادارة الفرنسية نفسها فقال السيد أحمد اليزيدى المقرر العام للميزانية ورئيس جامعة الغرف المغربية للتجارة والصناعة فى تقريره ما يأتى :

« فالميزانية فى بلاد تحكم نفسها بنفسها حسب نظم ديموقراطية تكون معبرة عن ارادة الامة ومرآة للمسائل التى تهم الدولة وللجهود التى تبذلها فى تحقيق حاجيات الشعب الاكيدة .

« وأهم ميزة للميزانية المغربية هو أنها تعبر قبل كل شىء تعبيرا واضحا مدعما بالارقام عن سياسة الحماية » .
وختم المقرر تقريره قائلا :

« وقد يكون خيانة منا للثقة التى وضعها فينا منتخبونا ان لم نقل ان الميزانية كما تضعها الادارة وتنفذها عاجزة عن رفع مستوى الشعب المغربى ونحن لا توجه بانتقاداتنا الى الاخصائيين الذين وضعوا هذه الميزانية ولكن الى السياسة التى هم مضطرون الى الخضوع لها .

« فاتهامنا اذن موجه الى نظام الحماية بأجمعه » .

وقال بعد ذلك السيد محمد الاغزاوى المقرر لميزانية الاشغال العمومية فى تقريره : « من الثابت أن الجالية الاوربية التى تزداد يوما فيوما سيطرتها على مقاليد الاقتصاد المغربى هى التى تستفيد مباشرة أكبر الاستفادة من هذا الجهاز الاقتصادى المؤلف من الموانئ والطرق والسكك الحديدية والسدد - الخزانات - الى غير ذلك . أما المغاربة فهم يستفيدون كذلك من هذا الجهاز ولكنها استفادة

ثانوية ضئيلة » •

فعمد الجنرال جوان الى طرد السيد الاغزاوى رئيس الغرفة المغربية للتجارة والصناعة بفاس لاجل ما صرح به من حقائق فانسحب تضامنا معه رئيس جامعة الغرف التجارية والصناعية السيد احمد اليزيدى وجل الاعضاء المنتخبين وقامت قيادة الادارة الفرنسية اثر ذلك ووجهت حملة شعواء ضد حزب الاستقلال لكى تنال من سمعته ونفوذه أمام الجمهور المغربى وتحمل صاحب الجلالة على التبرؤ منه علانية •

(٣) تهديد الجنرال جوان لصاحب الجلالة - وبينما هذه الاستعدادات

ووسائل الارهاب قائمة على قدم وساق اذا بالجنرال جوان يقابل صاحب الجلالة تلك المقابلة التاريخية يوم ٢٦ يناير سنة ١٩٥١ قبل سفره الى أمريكا رفقة رئيس الحكومة الفرنسية •

واشتملت مطالب الجنرال جوان على ما يلى :

أولا - التبرؤ من حزب الاستقلال •

ثانيا - طرد أعضاء الديوان الملكى وبعض كبار الموظفين •

فاعتبر صاحب الجلالة انه بصفته ملكا للبلاد يريد أن يبقى فوق الاحزاب أما طرد الموظفين فلا يرى له مبررا •

وعند ذلك أئذره الجنرال جوان قائلا : « اما أن تنفذوا طلباتى واما أن تتنازلوا عن العرش والا فسأخلعكم تطبيقا لاوامر حكومتى وها أنا ذاهب الى أمريكا وفى وسعكم أن تفكروا فى الامر » •

وبعد هذه المقابلة وقع تطويق أبواب القصر بالشرطة بينما كلفت الادارة الفرنسية الجلاوى بحمل رؤساء القبائل على قبول خلع الجنرال جوان لصاحب الجلالة •

وما لبث الشعب المغربى أن سمع بالتهديد الواقع على شخص صاحب الجلالة لان الصحافة الفرنسية أخذت تصرح باحتمال تنازل جلالته فسارع علماء فاس مؤيدين من علماء المغرب كله حواضره وبواديه الى تجديد بيعتهم لصاحب الجلالة محمد الخامس فى عريضة قدمها وفد خاص لصاحب الجلالة وقد استنكروا فيها موقف الجلاوى وأتباعه ونفوا عنه كل صبغة تخوله نصب نفسه للدفاع

عن الدين •

وقام حزب الاستقلال من جهته يستصرخ بدول العالم فكان لذلك من الاثر بالعالم الاسلامي كله ما حمل الجامعة العربية على التدخل في الامر وصرح معالي عبد الرحمن عزام باشا الامين العام للجامعة العربية معلنا تأييد الجامعة العربية لمطالب الشعب المغربي ومنددا بالاستعمار الفرنسي ومناوراته •

وفي ١٢ فبراير بعد ما عاد الجنرال جوان من أمريكا تقابل مرة أخرى مع صاحب الجلالة وعرف بعد أنه جدد له طلباته المذكورة •

وفي الغد عقد صاحب الجلالة مجلسا وزاريا أضاف اليه أفرادا من علماء الدين لدرس مشروع الإقامة وبعدها تداول المجلس الوزاري أجمع أعضاؤه على أن لا موجب للتبرؤ من طائفة معينة من رعايا صاحب الجلالة ثم توجهت الهيئة الوزارية عند الجنرال جوان لتبلغه مشافهة ما قررته ، فعامل الجنرال جوان أعضاء الهيئة بما لا يليق بمقامهم وكرامتهم وخاطبهم قائلا : « ان لم تنفذوا ارادتي فان القبائل البربرية ستنتفض على أهل المدن بالذبح والسلب والنهب وحينئذ تأتون الى وتطلبون مني أن أحميكم ولن أغنيكم » •

فثبت الوزراء على موقفهم • وفي يوم ٢٢ فبراير قرر الجنرال جوان قطع العلاقات الرسمية مع القصر فاذا ذلك طلب صاحب الجلالة من الحكومة الفرنسية تحكيمها •

(٤) بروتوكول ٢٥ فبراير سنة ١٩٥١ - وأعلنت الصحافة الفرنسية نبأ

قطع العلاقات في مقالات بارزة وزاد في توتر الجو ما أمرت به سلطات المراقبة الفرنسية فرسانا من القبائل من قصد فاس والرباط والنزول بأرباضهما دون أن تبين لهم السبب الحقيقي لهذه الحركة بل قالت لفريق منهم انهم ذاهبون لحضور حفلة لدى صاحب الجلالة وفريق انهم ذاهبون لحفلة استقبال مقيم جديد وفريق انهم ذاهبون لحفلة وزير من وزراء فرنسا وفريق انهم ذاهبون لحفلة استقبال وزير أمريكي فانخدع الفرسان لذلك لانهم معتادون أن يسخروا في جميع الحفلات الرسمية بينما أخذت الصحافة الفرنسية تضلل الرأي العام في الخارج مدعية أن القبائل الهائجة وسكان الجبال المسلحين متوجهون للهجوم على الاهالي من سكان المدن وان الادارة الفرنسية اتخذت الاحتياطات فأرسلت بعض جيشها

لحماية الحواضر وكان القصر الملكي ومقر ولى عهد المملكة المغربية محاطين
باجيوش الفرنسية بدعوى حماية العائلة الملكية .

فى هذا الجو المرعب توجه م . دوبلصون الى القصر الملكى يوم الاحد ٢٥
فبراير وسلم لصاحب الجلالة رسالة رئيس الجمهورية تأكد أن فيها تأييد
الحكومة الفرنسية للجنرال جوان ودعوة لصاحب الجلالة الى الازعان .

وعند الساعة السادسة من مساء ذلك اليوم أرسل الجنرال جوان لصاحب
الجلالة نص بروتوكول مع انذار شفوى بأنه ان لم يوقعه صاحب الجلالة فى
خرف ساعتين فيجب على جلالاته أن لا يعتبر نفسه ملكا على البلاد .

ويحتوى البروتوكول المذكور على النقاط الآتية :

(١) اصدار بلاغ ملكى وبلاغ وزارى لاستنكار أساليب ما عبر عنه
بحزب من الاحزاب .

(٢) طرد أعضاء الديوان وبعض كبار موظفى المخزن ومدير جامعة

القرويين .

(٣) تعديل الهيئة الوزارية بعزل وزراء ومندوبين .

(٤) عزل بعض القواد وتعيين آخرين عوضهم فرضتهم الادارة .

ولا ذنب لاولئك كلهم الا وقوفهم الى جانب صاحب الجلالة لما قرر
خلعه ان تمادى فى مقاومته كما صرح بذلك ديسانج فى مجلة

الابسرفاتور بتاريخ ٢٩ مارس سنة ١٩٥١ .

(٥) التوقيع على المراسيم التشريعية التى كان الخلاف قائما فى شأنها بين

القصر والادارة الفرنسية ومن الغريب أنه بمجرد ما وقع الحصول على توقيع
صاحب الجلالة أمرت الادارة الفرنسية فرسان القبائل بالرجوع الى منازلهم .

أما بفاس فقد أبت الادارة الفرنسية الا أن تقوم بتمثيل فصل آخر من الرواية
وذلك بأن أمرت فرسان القبائل بشق شوارع المدينة حاملين رايات فرنسية
كأنهم متظاهرون ونصبت الادارة فى الاحياء الاوربية أبوابا نادت بها على
الاوربيين ليخرجوا لمشاهدة القبائل يتظاهرون عفوا ضد الاستقلال ويعلمون
ولا هم واخلاصهم لفرنسا . وقد أخذت صور لذلك وشرائط سينمائية عرضت
يقاعات السينما للتأثير على الجمهور .

والى القارىء ما كتبه أحد الفرنسيين بالمغرب فى هذا الصدد :

« رفيقي العزيز :

« أكتب لك وقلبي مفعم حزنا وألما • ان ما شاهدته اليوم لبشيع حقا ، وليس السبب في ذلك الخلاف الخطير الذي بين القصر والاقامة العامة ، بل السبب هو الاساليب المستعملة لتضليل الرأي العام • واني بصفتي فرنسيا ودمقراطيا لا يمكنني أن أحبذ مثل هذه الاساليب • لقد شاب قرني في السياسة فأصبحت أميز ما بين العواطف النبيلة والاساليب التي يجب استعمالها للوصول الى اقناع الناس في شأن وجهة نظر بسيط وقد بين لنا سارتر ان طرق الحرية ملتوية محفوفة بالاعطال •

« ومع ذلك فان بيرتون تنبأ في مقاله الافتتاحي الذي تجده بصحبة خطابي بأن هذا اليوم (الاثنين) سوف يكون يوم نحس •

« ان الانسان يعجزه الادراك عند ما يشاهد أن ما يقرب من ١٠٠٠٠ فارس صدوا عن عملهم الفلاحي وجيء بهم الى فاس بدعوى أن بها حفلة عظمى وتركوا قائمين أمس اليوم خارج أبواب المدينة غطاؤهم السماء ثم أحيطوا برجال الشرطة واستعرضوا بشوارع المدينة لاثارة الفزع في قلوب السكان •

« كيف يمكن لفرنسا - سيدتنا فرنسا كما يقول دو كول - فرنسا التي قامت بثورة سنة ١٧٨٩ أن ترذل فترتكب مثل هذه الاساليب •

« فمن المقصود بهذه الخديعة وأي هدف يرمى اليه ؟ أي معنى لهذه المظاهرات المدبرة التي تقضى العيون ؟ أهذا هو تطبيق معاهدة الحماية المؤرخة في ٣٠ مارس سنة ١٩١٢ التي ينص فصلها على تأييد جلاله السلطان ضد كل خطر يمكن أن يهدد سلامة مملكته ؟ انهم ينشرون البغضاء في قلوب البدو ضد سكان المدن الى حد أن الناس بد كالة أحرقوا دار رجل غير موال للادارة وبعد هذا كله يصيح الراديو بأن جنود القوم يحرسون قصر السلطان من المتظاهرين الذين ربما يقصدونه فما المقصود من عملنا هذا ؟ أليس لنا وزراء اشتراكيون ؟ ان الانسان ليتمنى أن لو كان يحكمنا قوم رجعيون فنستطيع على الاقل أن نفهم حقيقة الامر

« أيزعمون أن هذه البلاد غير قادرة على حكم نفسها بنفسها فكيف استطاعت اذن أن تتكفل ضد مالا يلائمها • وبما أن كل مأساة لا تخلو من فكاكة فان بعض أولئك الفرسان على ما يقال كانوا يخشون أن يوجهوا الى القتال بالهند الصينية • « وعلى كل فان شوارع المدينة أثناء المظاهرات كانت تقريبا خالية من السكان

يسودها سكون عميق . .

وعلم من بعد أنه خلال يوم ٢٥ فبراير أعدت طائرة لنقل صاحب الجلالة وعائلته خارج المغرب ان أصر على الامتناع من التوقيع كما أنه كان من المقرر أن يتوجه الجلاوى وأصحابه المسلحون على يد الإقامة العامة الى فاس لاكرام علمائها على مبايعة سيدى محمد بن عرفة العلوى .

ويوم ٢٦ فبراير أذاعت الاذاعة الفرنسية أن اتفاقا (هكذا) وقع بين صاحب الجلالة والجنرال جوان وان الازمة انتهت فأمرت الادارة الفرنسية بتزيين جميع المدن بالرايات الفرنسية وبالغت فى اذاعة تصريحى صاحب الجلالة والصدر الاعظم وصارت تجمع الناس فى المدن والبوادي وتطلب منهم أن يوقعوا على عرائض الولاء لفرنسا والعداوة لحزب الاستقلال وبلغت المغالطة والوسائل الخسيسة بالادارة الى أقصى حد فمن ذلك أنها عمدت بقرية السخيرات الى العاطلين وطلبت منهم أن يقيدوا أسمائهم فى لوائح ادعت انها لوائح من سيبحث لهم عن عمل ولم تلبث أن أصبحت تلك اللوائح « عرائض ولاء » وكذلك بسطات وغيرها من الجهات فان السلطة طوقت الناس الموجودين فى السوق الاسبوعى بينما صعد الباشا ليعلق على تصريح الملك وذلك لتستطيع شركة السياسة الفرنسية تسجيل أشرطة تدعى أنها تمثل المظاهرات التى قام بها عفوا البدو ضد حزب الاستقلال . أما بقبيلة الرحامنة فان الادارة اقتصرت على نسخ قوائم الذين يؤدون الضرائب وما أطولها . وفى ناحية فاس اكتفى قائد قبيلة بوضع أصبعه عن عدد الافراد الذين كلف جمعهم لهذا الصدد .

ونصت الآن الى شهادة مسيو بير باران الذى كان نائبا فيما قبل عن فرنسى المغرب بالمجلس التأسيسى الفرنسى وقد نشرتها مجلة الاوسرفاتور :

« رسالة موجهة من فرنسى يقطن بالمغرب الى السيدين م . روس و ك . بوردي بتاريخ ٢٧ فبراير سنة ١٩٥١ » اتنى والاسى يملا قلبى أكتب لكما هذه الرسالة لاصف لكما القاذورات التى نعيش فيها هنا .

« فلا شك أنكما سمعتما بالمظاهرات التى تسارعت القبائل من تلقاء أنفسها الى القيام بها قصد اظهار ولائها لفرنسا وسأدلى لكما بتحقيقات تيسر لكما معرفة الحقيقة ولن أحدثكما طبعا الا عن الناحية التى أقطن بها وأتما تعلمان أن مايجرى بناحتى يجرى مثله بالنواحي الاخرى .

ولنبداً بحادث له مغزاه فقد نشرت الصحف الفرنسية الثلاث التي تصدر في البيضاء بتاريخ ٢٦ فبراير سنة ١٩٥١ الخبر القصير الآتي ذكره وهو وارد بنص واحد في جميعها فليس اذن هذا الخبر اختلاقاً من صحفيين فقدوا رشدهم بل هو صادر عن مصدر رسمي وقد وزع على جميع الصحف واليكمانص الخبر: « بلغنا في هذا الصباح أن بيتا يسكنه وطني قد اشتعلت فيه النار بالقرب من البئر الجديد ليلة ٢٥ فبراير » .

« في حين أنني أسكن البئر الجديد وأسمى منذ نحو ٤٨ ساعة للحصول على تدقيقات ولم أتمكن بعد لغاية مساء اليوم ٢٧ فبراير من العثور على الدار المحروقة ولا يدري ساكن في القرية شيئاً عن هذا الامر .
« انه أمر جد غريب أليس كذلك ؟

« لكن صحف اليوم ٢٧ فبراير تخبرنا أن « كثيرا من الفلاحين شخصوا الى أزمور عند الزوال وقد انضم اليهم صناع وتجار من المدينة وبعض قدماء المحاربين المغاربة فقصدوا ضريح مولاي بوشعيب الذي أعلنت زاويته عزمها على الانضمام الى الحركة ولهذه الزاوية نفوذ كبير في تلك الناحية وقد كان موقفها صريحا ضد حزب الاستقلال ثم قصد الموكب سعادة الباشا فمشى في طليعته واجتمع الكل أمام مركز المراقبة المدنية لتقديم عريضتهم .
« واليكما الرواية الرسمية سأقول لكما ما حدث في الواقع .

« في عشية ٢٥ فبراير طاف المكلف على الناس في البئر الجديد ليعلمهم بأنه يتعين عليهم أن يذهبوا في الغد الى أزمور في الساعة ٨ وأشار الى أن من يتخلف منهم عن الذهاب الى الدعوة يندم ولم يستطع أو لم يرد ذكر موجب هذه الدعوة فظن كثير من المغاربة انه للتلقيح ضد السل .

« وبالطبع ذهب في الغد عدد كبير من الاهالي الى أزمور وكثير منهم ركبوا في سيارات غير مأذون لها بنقل المسافرين لكن رجال الشرطة كانوا متعامين في ذلك اليوم عن مثل هذه المخالفة .

« وعند وصولهم الى أزمور تم تصنيفهم رباعا أو خماسا وطيف بهم عدة مرات في أزقة المدينة ليشاهدهم سكانها .

« وكدت أنسى أن أقول أن كثيرا منهم عند مرورهم بسوق الاثنين - أي في منتصف الطريق من البئر الجديد الى أزمور - أتيح لهم أن يروا أعوانا يرغمون

الناس بدون رفق على ترك بضائعهم في حراسة بعضهم والانضمام الى المسافرين
« وعند الزوال كان هؤلاء الناس المساكين لا يزالون في أزمور بعد مرورهم
في موكب ماكين في موضعهم من دون أن يعرفوا بعد لماذا وقع استدعائهم
فطلبوا أن يسمح لهم بالذهاب لتناول الغداء فلم يسمح لهم به وأبادر الى القول
بأنهم انتظروا حتى الساعة الخامسة ظهرا قبل أن يتمكنوا من تناول الطعام •
« وخلال مقامهم بأزمور وجه اليهم خطاب صغير لم يشتمل على قذف والحق
يقال ولم يخرج عن المألوف من عبارات الدعاية العادية مذكرا اياهم بكل ما
يدينون به لفرنسا آمرا اياهم بعدم الانصياع الى نصحاء السوء وبالوشاية بهم ثم
سمح لهم بالرجوع الى حال سبلهم •
« وبديهي أن جميع هؤلاء المساكين قد أضاعوا عمل يومهم وتحملوا
مصروفات السفر •

« فأتما تريان أن رواية الصحف لا تبتعد في الجملة عن الحقيقة بأكثر من ٩٠
في المائة ولكن هل بلغ الامر بالعصاة التي ترهق المغرب في الساعة الراهنة الى
أن تستخف بالشعب الفرنسي كل هذا الاستخفاف فتلق له هذه الخزعات
المدهشة التي تقرأها في الصحف الصادرة هنا وفرنسا •
« هل المغرب يا ترى بلاد يعدم فيها الامن بحيث يستطيع الطائشون إحراق
الدور؟ هل المغرب يستعصى زمامه على الايدي بحيث يستطيع آلاف الفرسان
المجىء الى فاس والى قصر السلطان بالرباط وهو الذي يبدو أن من الواجب
حمايته وتعجز السلطة عن منع كل هذا؟ ان هذا هو الشيء الخطير والخطير
جدا أن الميكافيليين الذين يتخبطون في أكاذيبهم لا يفتنون من خلال نواياهم
السيئة الى أنهم يعطون أسلحة ضدهم •

« وهل يظنون حقا أن سكان هذه البلاد النزهاء سيمكثون من دون أن يحتجوا
على تزيف الحقيقة • • ؟

« أما أنا فاني عاجز عن ذلك وينبغي أن أقول أنني طيلة ال ٣٥ سنة التي
قضيتها في المغرب وخصوصا منذ ابتداء ديكتاتورية الجنرال جوان قد شاهدت
في هذه البلاد عدة أشياء غير صالحة ولكني كنت ما أزال ساذجا ولم أكن أعتقد
أنه في الامكان الانغماس الى هذا الحد في الكذب والضعف •

«أواه ثم أواه هلا يتأتى للمغرب يوما التخلص من هذه العصاة الشريرة

التي ستفضى به الى بغض فرنسا » .

وزيادة على هذه الحركة التي نظمتها الادارة للتظاهر ضد الملك وحزب الاستقلال فانها سلطت على البلاد كلها موجة من الارهاب والقمع وكانت اللجنة التنفيذية لحزب الاستقلال أول ضحية وذكرت مجلة الاوبسير فاتور في عددها المؤرخ في ٢٠ مارس سنة ١٩٥١ رغم ما تدعيه الاقامة العامة فان عدد أعضاء حزب الاستقلال المعتقلين يمكن أن يقدر بنحو الالفين وقد حكم عليهم بالسجن بتلك التهم المعروفة كعقد اجتماع بغير اذن أو تحرير منشورات وما الى ذلك .

وان عدد الاعتقالات منذ ذلك التاريخ لا يزال في ازدياد .

ولم يلبث الناس في البوادي وخصوصا في الاطلس أن تنبهوا للحيلة التي انطلقت عليهم فقاموا بمظاهرات احتجاج من ذلك أن عشرات الآلاف من البدو توالوا على مراكز القواد ورجال المراقبة الفرنسية بأغبلو وتيلوين والقصية وتادلة والقياب وغيرها منادين « خدعتمونا فلسنا أعداء لحزب الاستقلال وان ملكنا المحبوب هو صاحب الأجلالة ، ونسبت مشاجرات عنيفة بين المتظاهرين وبين القواد وأعوانهم وكان المتظاهرون يطالبون بعزلهم فلم تستطع الادارة أن تتماذى في ستر هذه الحوادث وأخذت تنشر ادعاءات كاذبة منها وقوع فتن بين القبائل ومعارك بالقصية وتلوين والقياب وغيرها فكيف ياترى نشبت هذه المعارك وانتشرت في نواح مختلفة في آن واحد وذلك في الوقت نفسه الذي كانت تدعى فيه الادارة الفرنسية أن القبائل البربرية تقدم عبارات ولائها لفرنسا بدون شرط ولا قيد ، لكن مسيو جيجر المحرر المشهور بوكالة الانباء الفرنسية تنبه الى أنه لا يمكن التماذى في تضليل الرأي الفرنسى ، وذكر في جريدة الموند بتاريخ ٣ أبريل سنة ١٩٥١ : « اتنا نرى اليوم مظهرا جديدا للازمة المغربية مبينا لما سبق اذ بلغنا أن جماعات من الاهالى يجتمعون في هدوء بعض القرى على تخوم النواحي البربرية في جنوب مكناس ويقضون ساعات طوالا بدون أن يحدثوا جلبة ولا تظاهرا أمام مراكز المراقبة المدنية وقد بدأت هذه المظاهرات في أواسط الاسيوع المنصرم ومن السهل أن ندرك المحرك لهذه المظاهرات واذا ما سئل هؤلاء الناس عن مقصودهم اكتفوا بقولهم انهم يطالبون بعزل قوادهم الذين تجاهروا بالعداء للمسلطان وكل ذلك كان يجرى في هدوء وأدب فلا تستطيع الادارة الفرنسية زجرهم »

هذا قول م • جيدير أما الاقامة العامة فانها قابلت هذه المظاهرات السلمية بقمع عسكري عنيف فثارت نائرة العالم العربي والاسلامى وتوارد على المغرب عدة • صحفيين من مختلف جهات العالم للقيام بالتحقيق فى شأن هذه الحوادث ، غير أن الصحافيين المصريين منعوا من الدخول للمغرب وكان الدكتور محمود عزمى استطاع من قبل الدخول فأمكنه أن يسمع من جلالة الملك مباشرة شرح الظروف التى أدت به الى توقيع بروتوكول فبراير سنة ١٩٥١ اذ قال نصره الله : « اننا وقعنا تحت التهديد وكان توقيعنا اجتنابا لما كان يتوقع من عواقب سيئة تحل بشعبنا » •

ان الازمة المغربية لا تزال مستمرة وقد وجهت الدول العربية من فبراير الى أكتوبر سنة ١٩٥١ نداءات متوالية لفرنسا قصد تصفية الخلاف الفرنسى المغربى بكيفية حية دون أن يكون صدى لتلك النداءات اذ رفضت الحكومة الفرنسية كل تلك المحاولات الودية لانها لايهمها الا المحافظة على نظام استعمارى بائد يمجج الضمير العالمى •

نعم لقد حاولت ايها الناس بحدوث تحسين فى علاقاتها مع المغاربة فأبدلت المقيم العام الجنرال جوان بالجنرال كيوم غير أن التصريحات الاولى التى فام بها الجنرال كيوم بالمغرب تدل على أن فرنسا أبدلت مقيما بمقيم ولكنها لم تبدل سياستها •

وجهة الاستعمار في الظروف الراهنة

انتهاء عهد الامبراطورية الاستعمارية

شاهدنا على اثر الحرب العالمية الثانية تغييرا سريعا عميقا في خريطة العالم . فالامبراطوريات الاستعمارية التي كانت مفخرة ومصدر أرباح الدول الكبرى المستعمرة انهارت أشد انهيار أو تفككت تدريجيا تحت ضغط جبار من الشعوب المجاهدة في سبيل تحريرها واستقلالها الوطني .

وان الميثاق الاطلسي الذي صدر في أغسطس من سنة ١٩٤١ والذي وقعت عليه كبريات الدول الاستعمارية - ليحتوى على المبدأ الصريح في تغيير وضعية الامبراطوريات الاستعمارية ذلك التغيير الذي يتم الآن أمام أنظارنا .

فالفصل الثالث من الميثاق المذكور ينص على أن الدول الموقعة عليه « تحترم حق جميع الشعوب في اختيار شكل الحكم التي تريد أن تعيش فيه وهي تتمنى أن ترى عودة حقوق السيادة والحكم الذاتي الى الأمم التي جردت منها بالقوة .. » ومنذ شهر مارس سنة ١٩٤٢ وتطبيقا لهذا المبدأ وعدت الهند بالاستقلال من طرف الانجليز الذين اضطروا الى أن يؤكدوا من جديد عام ١٩٤٣ عزمهم على اقرار « حكومات مسئولة » في سائر الكومنويلث (جامعة الشعوب البريطانية) وقد صدر نفس الوعد من الولايات المتحدة حيال مستعمراتها ، بينما أعلنت الملكة ولهمينا في شهر ديسمبر سنة ١٩٤٢ لاندونيسيا المحتلة من طرف اليابانيين ان « مؤتمر مائدة مستديرة » سيدعى بمجرد التحرير لتسوية علاقة أندونيسيا مع هولندا على أساس المساواة .

وفي عام ١٩٤٣ كان امضاء الهدنة من طرف المارشال بادليو المؤسس الاكبر للامبراطورية الفاشستية الايطالية - ايذانا بانهاية هذه الامبراطورية والتخلي عن اراض شاسعة مثل الحبشة والبايما والدوديكانيز واريتريا والصومال وليبيا . وأدى استسلام اليابان عام ١٩٤٥ الى اضمحلال امبراطورية استعمارية أخرى أوسع وأضخم .

والرأى العام الدولي وهو لا يزال تحت تأثير الحرب أصبح عداؤه للاستعمار يزداد يوما بعد يوم . ويحتوى ميثاق الأمم المتحدة الممضى بسان فرانسيسكو

يوم ٢٥ يونية سنة ١٩٤٥ على فصل كامل (وهو ١١) يندد فيه بالاستعمار ويضع المبادئ التى يجب أن تحكم بموجبها الاقطار المستعمرة • ويرمى هذا الفصل (البندان ٧٣ - ٧٤) الى حماية سكان المستعمرات وتحديد امتيازات الدول المستعمرة •

ويبدأ التصريح « بجعل مشروعية الاستعمار مرتكزة على رسالته المقدسة التى قوامها العمل بكل ما فى المستطاع على تحقيق رفاهية سكان تلك الاقطار » • ثم يستنكر سياسة الاستعباد لان الدول الموقعة على الميثاق « تعترف بمبدأ أولوية مصالح سكان الاقطار المستعمرة » بل ان الميثاق استنكار للادماج المفروض اذ من واجب الدول تحقيق الرقى السياسى والاقتصادى والاجتماعى فى تلك الاقطار مع احترام ثقافة السكان « ويقترح الميثاق أخيرا انتهاج سياسة الاستقلال الذاتى وقد قبل أعضاء هيئة الامم المتحدة تطوير أهلية هذه الاقطار لحكم نفسها بنفسها واعتبار « مطامع هؤلاء السكان السياسية » واعانتهم على تطوير مؤسساتهم السياسية الحرة تدريجيا •

فماذا كانت نتيجة هذا الانقلاب العالمى الهائل وأفكار ما بعد الحرب فى الامبراطورية الاستعمارية غير التى انهارت على أثر الانهزامات العسكرية ؟ لم تكن تلك الامبراطوريات قد عرفت نفس النهاية المفجعة التى عرفتھا الامبراطوريات المنهارة فانھا لم تبق من أجل ذلك مستقرة ، ذلك أن انبعاث وطنية الاهالى السريع قد زعزع هذه الامبراطوريات بكيفية خطيرة • ولمحاربة المطامع المشروعة التى تهدف اليها هذه الوطنيات ولتلافى مشاريع الرقابة الدولية استخدمت الدولة المستعمرة أساليب تختلف باختلاف مزاجها الوطنى مع ترك مسؤولية هيئة الامم فى هذا الميدان جانبا •

الولايات المتحدة :

كانت جزر الفيلبين قد أصبحت عام ١٩٣٥ دولة تتمتع باستقلالها الذاتى ولكن خاضعة للرقابة الامريكية وقد أعلن استقلالها عام ١٩٤٦ تنفيذاً للالتزامات السابقة •

هولندا :

تمخضت المعارك الدامية التى أدت اليها عودة الهولنديين الى جاوة عن

استقلال الجمهورية الاندونيسية التي أصبحت فى الوحدة الهولندية الاندونيسية
عضوا وندا لهولندا •

المملكة المتحدة :

اجتازت الامبراطورية البريطانية خلال الحرب الاخيرة مرحلة عصبية
استثنائية فى تاريخها ، غير أن دهاء بريطانيا العظمى الدبلوماسى الفائق واجه
هذه الحالة بمرونة وتبصر وحكمة •

وقد أصبحت بورما مستقلة ومنفصلة عن الجامعة البريطانية •
ولم تكف المملكة المتحدة بأن تبرز بتجديد ثورى وهو احداث دومينيونات
تختلف باختلاف أهلها كالهند والباكستان وسيلان بل خولت لمعظم ممتلكاتها من
الجامايك الى ماليزيا الى نيجيريا وجزيرة موريس - دساتير جديدة موسومة
بطابع واسع من الحرية وآخر دومينيون نشأ هو ساحل الذهب الذى يقسع فى
قلب أفريقيا السوداء •

ويعلم من جهة أخرى أن تصفية الامم المتحدة للامبراطورية الايطالية
السابقة قد أدت الى استقلال برقة وليبيا •

الحل الفرنسى :

لاحظ الكسندر فارين (فى ذكريات حول جورج منديل بقلم فرنسيس
فارين طبعة ١٩٤٥ - ص ٢٠٧-٢٠٨ كتبها بعد عودته من الهند الصينية على
أثر محادثة أجراها مع جورج منديل حوالى شهر أغسطس من سنة ١٩٣٩)
قائلا : « اتنا لم نفرق فى التطبيق الادارى بين الشعوب التى توجد بينها أشد
الفروق فقد عاملنا بنفس المعاملة تقريبا أناميا متوهلا للظفر بشهادة التبريز فى
باريس وزنجيا متطيرا من زنوج أفريقيا الاستوائية •

كما أننا جردنا فى تطبيقنا الادارى شيئا فشيئا ولكن بصورة محققة سلطان
المغرب من كل سلطة وكذلك باى تونس وامبراطور الانام وملك الكومبودج •
فبدلا من تركيز سلطة مراقبتنا على ما كان للمؤسسات القديمة من نفوذ
قضينا بأيدينا على هذا النفوذ وتحملنا جميع المسئوليات •

ولكن فى هذا الوقت الذى يجرى فى العالم انقلاب عميق وفى هذه
الساعة التى يتعين على بلادنا - كما يلوح - أن تطبق سياسة الدومينيون اذا

أرادت أن تحتفظ بامبراطوريتها الاستعمارية تلك السياسة التي أنقذت
الامبراطورية البريطانية - فان مسألة الحماية والميز بين الاجناس ما زالت
موضوعة على البساط بشكل ملح . . . »

وقوام اصلاح هذه الحالة هو قلب كل السياسة المتبعة في امبراطوريتنا
منذ أزيد من ثلاثين سنة ، أى أن نرجع الى السلطات والادارات الاهلية معظم
النفوذ الذى جردناها منه تدريجيا .

« ان حل المشكل ليس سهلا وقد برهن مندل على ادراكه لذلك عندما
صرح بأن الوزير الذى يتجراً على القيام بهذا العمل يثير ضده جزءاً من البرلمان

وجميع الادارات المحلية وجميع كبار الموظفين » .

وان لمندل الحق فى اطالة القول فى هذه المعارضة القوية التى يلاقىها تحقيق
مثل هذا العمل لانه يعلم أكثر من غيره أن التعلق بأهداب الماضى هو أبرز
خصائص سياسة فرنسا الاستعمارية فقد تخلت انجلترا قبل الآن عن العقد
الاستعمارى ، وبينما العالم أجمع يعلم أن هذا العقد قد حكم عليه حكماً مبرماً
اذا بفرنسا لا تزال تعمل مع ذلك على الاحتفاظ به أو الاستيحاء منه فى
سياستها الاستعمارية على العموم .

وازاء هذا التشبث بالماضى يبرهن الاستعمار الفرنسى عن اخلاصه لمبادئ
الادماج التى هى محور المؤتمر الافريقى الذى انعقد فى برازاڤيل فى شهرى
يناير وفبراير سنة ١٩٤٤ قصد :

اتخاذ « أحسن الوسائل لادماج الامبراطورية الفرنسية فى فرنسا الغد
وبالاخص فى الدستور الجديد الذى ستضعه البلاد » لان فرنسا كان عليها أن
تجازى المستعمرات وأقطار الحماية على اخلاصها .

فزيادة على توصية المؤتمر بفرض العمل الاجبارى على الشبان الاهالى
فانه وضع فى المقدمة المبدأ الآتى : « ان غايات العمل التمدينى المنجز من
طرف فرنسا فى مستعمراتها يقضى على كل فكرة للحكم الذاتى وكل امكانية للتطور
خارج الكتلة الفرنسية الامبراطورية كما يجب اقضاء كل تشكيل محتمل حتى

فى المستقبل البعيد لحكومة ذاتية فى المستعمرات ، وحرر المؤتمر توصية أخرى :

« يجب أن يكون التعليم باللغة الفرنسية وأن يمنع مطلقا استعمال اللهجات

المحلية في هذا التعليم سواء في المدارس الحرة أو الرسمية .. »

وهكذا فإن تطور السياسة الاستعمارية الفرنسية كما حدده مؤتمر برازافيل لم يزد على كونه استأنف البرنامج التقليدي الذي كان في الحقيقة يترك الأهالي بدون حماية فريسة لاستغلال غير انساني والحكم الذاتي الذي يعدون به البلاد المستعمرة ليس معناه تحرير سكانها من جور الإدارة الاستعمارية وطمعائها ولكن تجرد هذه الإدارة نفسها من تلك المراقبة البسيطة التي تفرضها عليها سلطات فرنسا .

الاتحاد الفرنسي :

وبما أن فرنسا المحررة كانت مرتبطة بخيار منها بما التزمته في برازافيل وسان فرانسيسكو فقد اضطرت الى أن تعبر بواسطة القانون عن سياستها الاستعمارية الجديدة ويحتوي الدستور الفرنسي الموضوع سنة ١٩٤٦ على فصل يتعلق بالاتحاد الفرنسي وهيئاته .

وتضع مقدمة الدستور هذا المبدأ : وهو أنه لا يمكن أن يكون أي أحد في حالة اقتصادية واجتماعية وسياسية وضعية تتنافى مع كرامته وتساعد استقلاله بسبب جنسه أو سنه أو لونه أو جنسيته أو دينه أو أفكاره أو أصوله الجنسية أو غير ذلك وتقرر المقدمة كذلك اقضاء كل نظام استعماري يرتكز على الاستبداد .

أما داخل هذا الاتحاد نفسه فلا يوجد كثير من الاصلاحات الاساسية حسب الدستور الذي يقتصر على اقرار الوضع القائم والامر الواقع . ويعتبر الدستور فيما يخص المستعمرات أن أربعة من أقدمها أصبحت مقاطعات فيما وراء البحار .

أما الحمایات فانها تصبح « دولا مشاركة » دون أن يغير ذلك من علائقها مع فرنسا وكل واحدة من هذه الدول تضع رهن إشارة حكومة الجمهورية الفرنسية كامل وسائلها ، والحكومة الفرنسية هي التي تتولى وحدها تنسيق هذه الوسائل وتوجيه السياسة الكفيلة بتهیء وضمانة الدفاع عن الاتحاد ، فسلطة الحكومة الفرنسية والحالة هذه لا حدود لها .

ولهذا الاتحاد رئيس معين سلفا وهو رئيس الجمهورية الفرنسية ولحد الآن ليس للدولة المشاركة سوى الالتزامات وللحكومة الفرنسية الكلمة العليا فى المجلس الاعلى للاتحاد •

ومجلس الاتحاد الذى يتألف نصفه من أعضاء معينين من طرف الاحزاب الفرنسية لا يقوم الا بدور استشارى فهناك اذن نوع من الاحتكار السياسى والاقتصادى والعسكرى والدبلوماسى أحدث سلفا لفائدة الحكومة الفرنسية ، وهذا الاحتكار يركز على فكرة متأصلة جدا وهى أن العدول عن أساليب الحكم المباشر الاستعمارية والاعتراف بحق الشعوب فى تقرير مصيرها بنفسها بواسطة مؤسسات وطنية معناه التخلي عن مصلحة فرنسا ومهمتها ، فالاتحاد الفرنسى ليس فى الحقيقة سوى ستار يتقنع به استمرار النظام الاستعمارى الذى لم يستكره عليه الا فى الظاهر •

وهذا النظام العتيق فى جوهره قد زادته تعقيدا الروح الرجعية التى تذكى أقلية من المعمرين وأرباب البنوك وأصحاب المعامل الذين استقر عزمهم على الدفاع مهما كلفهم الامر عما يتمتعون به من امتيازات باهظة وأقرب شاهد على ذلك نتائج الاستفتاء الذى وقع بخصوص مشروع الدستور فى مايو ويونيو وأكتوبر من سنة ١٩٤٦ فقد كانت هنالك فى كل مرة أغلبية بين فرنسى ما وراء البحار ترفض هذين المشروعين فاذا أسقطنا من هذه النتائج اقتراعات لاريونىون والانطيل والسنگال لاحظنا أن الاستفتاء أسفر فى الاتحاد الفرنسى يوم ٥ مايو عن ٢٧٦١٨٨ صوت بالنفى فى مقابل ٢٤٩١٣٢ صوت بالايجاب • وفى يوم ١٣ أكتوبر عن نسبة أشد وهى ٢٩٣٠٠٠ صوت بالنفى فى مقابل ١٦٠٨٧٩ صوت بالايجاب ، وهذا النقد الصريح من شأنه أن يدعو الى الاستغراب لا سيما وان كلا المشروعين لا يحفظ مصالح سكان المستعمرات الحقيقية كما لا يرضى مطامحهم المشروعة وتشهد بذلك حرب الهند الصينية (١٩٤٦) ومجازر سنة ١٩٤٥ فى سطيف ودوالة وسنة ١٩٤٧ فى ألبجان وحوادث مارس سنة ١٩٤٧ فى مدغشكر زيادة على الازمتين التونسية والمغربية وما يقع فى البلادين من اضطهادات ومع ذلك فلا ينكر أحد اليوم أنه بعد انهزام فرنسا العسكرى عام ١٩٤٠ لم يحاول الاهالى فى أى مكان ولا زعمائهم استقلال ضعف فرنسا ، بل بالعكس فان « الامبراطورية » كلها قد تكتلت فى

الكفاح عام ١٩٤٢ باستثناء الهند الصينية التي كان يحتلها اليابان واندماج عشرات الآلاف من أبناء جميع هذه المستعمرات في جيوش التحرير كالرماة ورجال الكوم.

وإذا لم تكن « الامبراطورية » هي التي حررت وحدها فرنسا فيمكن القول بأنها هي التي أنقذتها وعلى فرنسا اذن أن تعترف لها بالجميل ولا يمكن أن يكون الاعتراف بهذا الجميل سوى بتحويلها حرية القبض على زمام مصيرها .

المطامح الوطنية

ان ما قاساه الشعب المغربي من المحن والنكبات جعله يؤمن بأن ازدهار مؤسساته وأنظمتها الوطنية وانتشار الحريات الديمقراطية فيه وتطبيق الاتفاقات الدولية التي وضعتها هيئة الامم المتحدة لفائدة الانسانية كل ذلك يتنافى مع الاحتفاظ بنظام الحماية الراهن .

لقد قاوم الشعب المغربي بجميع ضروب المقاومة الغزو الاستعماري المستتر خلف مظاهر الحماية وانتهت به مقاومته :

- أ - الى بيان ١١ يناير سنة ١٩٤٤ الذي تجلت فيه ارادته وتصميمه على الغاء الحماية واستقلال البلاد واقامة نظام ملكي دستوري .
- ب - الى ميثاق طنجة المبرم في تاريخ ٩ أبريل من سنة ١٩٥١ بين الاحزاب الوطنية الآتية :

(١) حزب الاستقلال .

(٢) حزب الشورى والاستقلال .

(٣) حزب الاصلاح الوطني .

(٤) حزب الوحدة والاستقلال .

وتتعهد الاحزاب الوطنية في هذا الميثاق بأن توحد جهودها وتعمل جميعها في دائرة المبادئ التي قررتها واتفقت عليها كأساس لبرنامجها ونشاطها في الحاضر والمستقبل .

وتنحصر هذه المبادئ فيما يأتي :

أولا - أن تعمل هذه الاحزاب جميعا لاستقلال المغرب استقلالاً تاماً فلا

- يقبل أى حزب مبدأ الانخراط فى الوحدة الفرنسية وانما تقوم العلاقات بين المغرب المستقل وبين فرنسا على أساس معاهدة جديدة .
- ثانيا - انه لا غاية يسعى اليها قبل الاستقلال .
- ثالثا - لا مفاوضة قبل اعلان الاستقلال .
- رابعا - لا مفاوضة مع المستعمر فى الجزئيات ضمن النظام الحاضر .
- خامسا - كل عمل يؤيد توجهات الاقامة العامة ضد جلالة الملك محمد الخامس يعتبر خرقا لمبدأ الميثاق .
- سادسا - تعاون مراكش مع الجامعة العربية وفى دائرتها قبل الاستقلال وبعده واجب قومى .
- سابعا - يلتزم الموقعون أن لا يقبلوا تأليف جبهة مع الشيوعيين المغاربة .
- ثامنا - تؤسس الاحزاب الموقعة لجنة اتصال وتساوّر مع الاحتفاظ لكل حزب بحريته ضمن هذا الميثاق .
- أما موقف الحكومة المغربية من نظام الحماية فهو يتجلى لا من خلال التصريحات الرسمية التى أدلى بها صاحب الجلالة فى مناسبات مختلفة فقط بل أيضا من المحادثات التى أجراها جلالاته رسميا مع الحكومة الفرنسية أثناء زيارته لباريس فى أكتوبر سنة ١٩٥٠ .

(١) بعض التصريحات الرسمية لجلالة الملك

أدلى صاحب الجلالة فى طنجة بتاريخ ١٢ أبريل سنة ١٩٤٧ أمام السلك الدبلوماسى الذى جاء يحيى جلالاته بالتصريح الآتى :

« لقد شارك المغرب فى الحرب الاخيرة - كما تعلمون - بأبنائه وبجميع ما لديه من وسائل الى أن تم النصر النهائى . وقد أخذت الشعوب اليوم تطالب بحقوق متلائمة مع العصر الحاضر . فمن العدل أن ينال الشعب المغربى حقوقه المشروعة وأن تتحقق مطامحنا ومطامحه التى هى مطامح جميع الشعوب » .

كما صرح جلالاته أمام الصحافيين بنفس التاريخ فى طنجة :

« ان المغرب حريص على أن تكون له فى المستقبل علاقات ودية مع جميع البلاد التى دافعت عن الحرية وما تزال تدافع عن قضيتها . كما يود من صميم نفواده أن ينال حقوقه كاملة . فمن البديهي أن المغرب - وبينه وبين بلاد الشرق

العربي روابط متينة - يود أن تزداد تلك الروابط توثقا وتماسكا لا سيما وأن الجامعة العربية أصبحت أداة مهمة تقوم بدور عظيم في السياسة العالمية » .
وجاء في خطاب جلالاته للشعب في طنجة أيضا :
« لقد استيقظت الأمة وتنبهت لحقوقها وسلكت لطرق مجدها أنفع طرق » .
ان حق الأمة المغربية لا يضع ولن يضع » .
وفي بلاغ أصدرته الكتابة الخاصة لصاحب الجلالة بتاريخ سبتمبر سنة ١٩٤٧ نجد ما يأتي :

« ان صاحب الجلالة لا يعارض مطلقا في منح رعاياه الاوفياء حق الانتخاب بل انه ما انفك يبين بأن هذا الحق يجب أن يمنحوه بالشروط المعروفة طبق قانون عادل . فجلالاته يعلق أهمية عظمى على أن يكون حق الانتخاب على درجة واحدة وأن يكون مماثلا في كل شيء لنظام الانتخاب عند الشعوب الحرة » .
وفي خطاب العرش لسنة ١٩٤٧ قال جلالاته :

« اتنا لم نجد عن الحطة التي سطرناها لانفسنا في خدمة بلادنا والسمي وراء مصلحة شعبنا والاخلاص كل الاخلاص لمبدأ الاسلام الديموقراطي وبذل كل مواهبنا حتى ينال رعايانا المخلصون ما يحق لهم جميعا من أن يكونوا أمة حرة تتمتع بكل حقوقها الشرعية وتحظى كأمة مسلمة بوحدتها وسيادتها وترجع مكانها الذي تستحقه بين كل الدول الحرة المتمتعة بكل ما يجب لها من الحقوق » .

وفي خطاب العرش أيضا لسنة ١٩٤٩ :

« نحن متيقنون أن لاشيء يضمن المصالح العامة مثل النظام الديموقراطي الذي سن الاسلام مبادئه الأساسية قبل أن يتخذ شكله الحديث » .
وفي خطاب العرش لسنة ١٩٥٠ :

« ولم يغب عنا لحظة واحدة أن أفضل حكم ينبغي أن تعيش في ظله بلاد تتمتع بسيادتها وتمارس شئونها بنفسها هو الحكم الديموقراطي الذي تقوم عليه الدول المعاصرة » .

(٢) محادثات باريس أكتوبر سنة ١٩٥٠ :

كان موضوع محادثات باريس خاصا بالقضية المغربية . فقد طالب صاحب

الجلالة الحكومة الفرنسية بالغاء عقد الحماية المبرم فى سنة ١٩١٢ ولكن الحكومة الفرنسية رفضت ذلك رفضا تاما كما يتضح ذلك من الفقرة الآتية من خطاب العرش سنة ١٩٥٠ :

« وانكم لتعلمون علم اليقين مبلغ سهرنا على مستقبل المغرب وحرصنا على رعاية مصالحه وحقوقه والاحتفاظ بمقوماته وكيانه .

ولهذا فقد جعلنا مقصدنا الاكيد - بعدما لبينا الدعوة الجميلة التى وجهها لجنابنا الشريف فخامة رئيس الجمهورية الفرنسية لزيارة فرنسا - أن نعرض القضية على من لهم الحل والعقد من رجال الدولة الفرنسية ونسعى معهم فى الوصول الى الحل الذى يرضى الرغائب ويحقق المطامح ولم يكن قط هدفنا من المحادثات السياسية التى أجريناها بفرنسا أن نظفر بتقوية سلطتنا لغاية شخصية وانما قصدنا بمساعيينا وجهودنا صالح البلاد ورفقها وتقديمها . لقد عرضنا مطلبنا على من يهمهم الامر من رجال الدولة الفرنسية بالكتابة والقول وأضفينا عليه حلة الوضوح والبيان وذلك بأن رغبنا فى أن تبنى علاقات المغرب بفرنسا على أسس جديدة وأن يقع الاتفاق بيننا وبينها على الغاية من تلك العلاقات على أسباب الوصول اليها بمعوتتها . وعرضنا هذا المطلب فى دائرة الود والصداقة وما زلنا نؤمل انه سيظفر فى مستقبل الايام بالأذان الصاغية والقبول الجميل لاننا مقتنعون بأن الاساس الذى تتركز عليه العلاقات السياسية بين الدول يجب أن يجرى على سنة الكون ويساير تطور الاحوال ويراعى تبدل الظروف . »

وهكذا فنظام الحماية لم ينجح فى شىء سوى اثارته السخط عليه من الامة المغربية حكومة وشعبا . وفرنسا لا يمكنها أن تستمر فى فرضه على المغاربة الا بالقوة والعنف . الامر الذى يجعل البلاد تعيش فى حالة دائمة من الهيجان والاضطراب ويخل بالامن العام وطمأنينة السكان اخلا خطيرا .

وقعت فى الارقام الواردة فى الكتاب بعض الاخطاء نرجو من القارىء
التفضل بتصحيحها وهى :

الصفحة	السطر	خطأ	صواب
١٠٤	٢١	١٩١٢	١٩٨٢
١٠٤	٢٣	٢١٧٩	٢١٧٠
١١٢	٨	٢٦٣٢٠٠٠٠٠٠٠٠	٢٦٣٩٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠
١١٢	١٠	٤٧٧٨٣٠٠٠٠٠٠٠٠٠	٣٧٧٨٣ ٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠
١١٣	٧	٣٢١٩	٤٢١٩
١١٣	١٢	١٨	١٠٠١
١١٥	٢٢	١٤٥٢٢٢	١٤٠٢٢٢
١١٧	٢٨	١٧٨٢	١٧٨٢٢٢٧
١١٧	٣١	٥٥٥٦٦٨	٥٥٥٦٦٩٥
١١٧	٣٢	٣٣٣٤٥٦٨	٣٣٣٤٥٦٩٥
١١٨	١٧	٢٨٧٨٢٥٢٣١٤٨	٢٨٧٨٢٥٢٤١٤٨
١١٩	٢٦	٤٥٧٠٠٠	٤٥٧٨٠٠
١٢٢	١٦	٩٤٠	٩٥٠
١٢٤	١	٦٠٠	٦٦٠
١٤٠	٢٠	٣ ٢٥٩٠٠٠٠٠٠٠٠٠	٣٦٢٥٩٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠